



### مقدمة:

هذا العنوان ليس من عندي مع أنني كنت أعيشه وأحاول أن أوصله لمرضى وزملائي وتلاميذي على مدى ممارستي (ستين عاما الآن)، يقول ستيفن برايس في كتابه سالف الذكر (الطب النفسي التطوري (1) (في صفحة (241) وهو يتكلم عن التفاوض العلاجي Therapeutic Optimism يقول في ذلك:

“إن تفهم الأعراض على أنها إبداع وآلية هادفة، يكشف قيمة هذا التفاوض العلاجي لدى الطبيب والمريض على حد سواء.”

ومن هنا جاء العنوان فكانت هذه النشرة.

أثناء مراجعتي لنشرات الإنسان والتطور لما يقرب من عشرة سنوات لأقتطف منها ما تيسر لمحاضرة الخميس بعد القادم وجدت ثروة دعوت الله أن يكون قد وصل بعض عائدها لأصحابها، وكنت حين أقرأ ما اقتطفت ممن يشاركوني فكري ومعايشتي من الأجانب الأفاضل أتعجب من حسن التعبير ودقة التوثيق، فأدعو لهم، وأخجل قليلا، لكن يردني إلى الحمد أنني أجد فيما رأيت وافترضت وكتبت أنا أيضا ما يرضيني وأنا أتجاوز بعضهم.

قررت اليوم أن أجمع بعض المقتطفات التي اقتطفتها من هذا الكتاب الرائع الذي سبق أن أشدت به فرحًا وهو كتاب الطب النفسي التطوري بداية جديدة (لاحظ العنوان الفرعي ودلالته!!)

### المقتطفات من كتاب ستيفن وبريس:



أولاً: “حين يدخل مريض إلى حجرة الكشف فإنه يدخل ومعه - إن صح التعبير - جمهرة من الناس الممثلين تاريخه الشخصي، هذا ما يعرفه الطب النفسي من قديم. الذي يضيفه الطب النفسي التطوري هو أنه تبين أن هذا المريض نفسه يحضر معه أيضا أجداده من الصيادين وأكلى النمل والزواحف من تاريخ أسلافه، وحين تقترب الاستشارة من نهايتها تصبح حجرة الكشف مليئة بمعارض المخلوقات البدائية التي لكل منها الحق أن يُستمع له، وأن يُستجاب لاحتياجاته (2) ”

ثانياً...: “ويصبح دور الطبيب النفسي مثل مدرب كرة القدم الذي يدرّب كل لاعب على أداء دوره ويشجذ مهاراته حتى يتكامل مع سائر اللاعبين فتكون نتيجة تفاهمهم وتكاملهم هو اللعب بكفاءة كفريق فعلا وليس كأفراد يتنافسون فيما بينهم”

إن تفهم الأعراض على أنها إبداع وآلية هادفة، يكشف قيمة هذا التفاوض العلاجي لدى الطبيب والمريض على حد سواء.“ (ستيفن برايس)

حين يدخل مريض إلى حجرة الكشف فإنه يدخل ومعه - إن صح التعبير - جمهرة من الناس الممثلين تاريخه الشخصي، هذا ما يعرفه الطب النفسي من قديم

الذي يضيفه الطب النفسي التطوري هو أنه تبين أن هذا المريض نفسه يحضر معه أيضا أجداده من الصيادين وأكلى النمل والزواحف من تاريخ أسلافه

يصبح دور الطبيب النفسي مثل مدرب كرة القدم الذي يدرّب كل لاعب على أداء دوره ويشجذ مهاراته حتى يتكامل مع سائر اللاعبين فتكون نتيجة تفاهمهم وتكاملهم هو اللعب بكفاءة كفريق فعلا وليس كأفراد يتنافسون فيما بينهم”



أساسا وليس فقط على  
المرض.

المقصود هو أن يشعر  
المريض باحترام خبرته  
باعتبارها واقعة، وليست فقط  
من نسج خياله أو دليل مرضه،  
..... (هذا) التفكك  
النيوروبولوجي الذي أتاح  
حضور أكثر من منظومة وعي  
في نفس المنظومة التركيبية  
الظاهرة

حتى يواصل الفاحص حوار  
- خاصة عبر قنوات الوعي  
البيشخصي فالجمعي - لابد  
أن يعايش أن "كل ما هو  
موجود" "هو موجود"، وأنه  
يختبر جميع منظومات الوعي  
الظاهرة والخفية الآنية  
والتاريخية

أن نفهم مرضانا ونساعدهم  
ونحن نتابع: حركية كيفية  
يحضر الماضي "في" الحاضر  
بإيقاع دوري منتظم، "الآن"،  
مما يتيح لنا الفرصة - إذا ما  
حملنا الأمانة - أن نواجه  
هذا الإيقاع ونرصد مساره  
ونتوقع مآله

المفروض أن يحدث ذلك  
تلقائيا ما لم يحلْ دونه ما  
سُجن داخله مثل الاختراجه  
المعاصر، أو التبعية العمياء،  
يحدث ذلك بطبيعة الوجود  
"معا".

هذه المواكبة العلاجية ليست  
عملية إرادية لرصد حركة  
التطور وهي تكرر نفسها.

لابد أنه أعاد مناقشتها داخل مجمل كتابه فأنا لم أكمله بعد) قد لا تصل بعمق ما يريد أو يأمل إلا  
بمعايشة مثل هذه الفروض أو ما يكافئها بالمشقة والجدية والإدراك والصبر اللازمين لخوض معركة  
البقاء بالوعي البشري الذي أمْتَحِنًا به!! واكتشفت أنه لولا تكامل هذه الفروض مع بعضها البعض ما  
اكتملت رؤيتي.

قلت كما بدأت أول النشرة بمقتطفات من ستيفن سوف أتهيها بمقتطفات محدودة جدا كعينات من  
بعض ما يخص دور من يريد معرفة كيف "الطبنفسى الإيقاعى".

في نشرة "لا يبدل عن الممارسة تحت إشراف" بتاريخ 22-1-2017

بينت ما جاء من بعض الخطوط العامة:

- 1- البدء بالتعرف على المريض أساسا وليس فقط على المرض.
- 2- السماح للفاحص بمعايشة انطباعاته التلقائية، يا حبذا لو أمكن ان تظل بعيدة عن وصاية  
تفاصيل المعلومات المحددة، وبالتالي احترام مشاركة هذه الانطباعات فى التقييم.
- 3- محاولة تقمص المريض) ومن أمكن من محيطه) وذلك بالتفكير المتعدد حسب الحكي، وتطور  
المقابلة.

وأيا

4- ليس معنى المطلوب الموافقة على وجود هذا التفكك الذى سمح بتسرب الداخل هكذا، وإنما  
المقصود هو أن يشعر المريض باحترام خبرته باعتبارها واقعة، وليست فقط من نسج خياله أو  
دليل مرضه، ..... (هذا) التفكك النيوروبولوجي الذى أتاح حضور أكثر من منظومة وعي  
فى نفس المنظومة التركيبية الظاهرة.

5- إن ما يطمئن المريض إلى صدق محاولة الفاحص هو ما يستشعره من أمانة موقفه من حيث  
القبول المبدئى كبدية للمشاركة. (4)

6- حتى يواصل الفاحص حوار - خاصة عبر قنوات الوعي البيشخصي فالجمعي - لابد أن  
يعايش أن "كل ما هو موجود" "هو موجود"، وأنه يحترم جميع منظومات الوعي الظاهرة  
والخفية الآنية والتاريخية، ونعود مرة أخرى لنؤكد أن الاحترام لا يعنى السماح بالتشتت أو  
النشاز أو النكوص، وإنما هو خطوة أساسية للاحتواء فالجدل لإعادة التشكيل.

وفى حين شبه ستيفن الطبيب بمدرّب كرة القدم شبهته أنا بالمايسترو، فزادت مسئولية القيادة إلى  
عشرات العازفين] نشرة: "المايسترو المعالج يسلم القيادة للمخ الأنسب!!" بتاريخ 22-2-2017



- أرجو أن يكون قد اتضح من كل هذه المقدمات ما أحاول أن أؤكد من ضرورة قبول فكرة  
إثبات الفروض بالتطبيق حتى قبل التحقيق ما دام قد حققت لنا النتائج التى تعدُّ بها، وقد أصبح هذا  
المبدأ مشروعاً فى البحوث المعرفية وبحوث المستقبل (5).
- هذه الفروض التى يقدمها الطبنفسى الإيقاعى، بما فى ذلك امتداد القياس على نظرية

وإنما هي عملية أقرب إلى ما  
يجرى بين كل نوع من أنواع  
الأحياء وبين جميع الأحياء من  
تواصل فعال يحفظ عليهما  
بقاءها

اليس الأرجح أن يكون هذا  
التواصل الإيجابي الفعال هو  
العامل العلاجي الذي نتدرب  
على تنشيطه بآليات التدريب  
الفنية العلمية، مع رصد  
النتائج الإيجابية الناتجة عن  
استيعاب حركية مستويات  
الوعي الإيقاعية، وتنمية  
القدرات النقدية الفنية  
الإبداعية العلاجية للمعالجين

مهمة العلاج هي تنشيط  
وتنظيم كل التوجهات  
الإيجابية لدوائر الوعي  
للمريض والمعالج كل حسب  
دوره الذي أشرنا إليه ، مع  
إعطاء الفرصة لامتدادها إلى  
خالقها، مما يتماشى تماما مع  
عمق السائد في ثقافتنا  
الشعبية عن "من هو الشافي"  
في نهاية النهاية.

إن امتداد دوائر الوعي في  
واقع خبرتي إلى مداها وما  
بعد مداها (الغيب) جعلني  
أفهم ليس فقط علاقة ذلك  
بحضور الله سبحانه في "هنا  
والآن" وكل مكان وكل آن،  
ولكن جعلني أدرك دور  
دوائر الوعي الممتد في  
الشفاء بما يتلصق مع ثقافتنا  
الشعبية بالذات بأن "الله هو  
الشافي"

زاد تقاؤلي بعد أن أيقنت

الاستعادة، لا تربط فقط بين الماضي والحاضر، بل إنها تدعونا أن نفهم مرضانا ونساعدهم ونحن  
نتابع: **حركية: كيف يحضر الماضي "في" الحاضر بإيقاع دورى منتظم، "الآن"**، مما يتيح لنا الفرصة  
- إذا ما حملنا الأمانة- أن نواكب هذا الإيقاع ونرصده مساره ونتوقع مآله، ويتيسر ذلك أكثر ليس  
بمدى ما حفظ المعالج من معلومات عن التطور أو غيره، بل بأن يسمح المعالج لطبقات وعيه أن  
تشارك العملية التصحيحية العلاجية، والمفروض أن يحدث ذلك تلقائيا مالم يحلّ دونه ما سجن داخله  
مثل الاغتراب المعاصر، أو التبعية العمياء، يحدث ذلك بطبيعة الوجود "معا"، مادامت هذه المواقف  
العلاجية ليست عملية إردية لرصد حركة التطور وهي تكرر نفسها، وإنما هي عملية أقرب إلى ما  
يجرى بين كل نوع من أنواع الأحياء وبين جميع الأحياء من تواصل فعال يحفظ عليها بقاءها، ليس  
الأرجح أن يكون هذا التواصل الإيجابي الفعال هو العامل العلاجي الذي نتدرب على تنشيطه بآليات  
التدريب الفنية العلمية، مع رصد النتائج الإيجابية الناتجة عن استيعاب حركية مستويات الوعي  
الإيقاعية، وتنمية القدرات النقدية الفنية الإبداعية العلاجية للمعالجين، وهي القدرات القادرة على إعادة  
التشكيل (نقد النص البشري) والتي يطمسها أو يشوهها نظام الحفظ والتسميع والتفتيت والاغتراب  
والتبعية.

ومع تشابك مستويات الوعي وامتدادها إلى مستوياتها الأوسع والأشمل سوف نكتشف أنها تتدعم  
بدوائر إيجابية أوسع فأوسع من دائرة الوعي الشخصي والبيشخصي وحتى الجمعي البشري، مع  
استمرار عمليات التواصل البقائي، وهكذا تصبح مهمة العلاج هي تنشيط وتنظيم كل التوجهات  
الإيجابية لدوائر الوعي للمريض والمعالج كل حسب دوره الذي أشرنا إليه ، مع إعطاء الفرصة  
لامتدادها إلى خالقها، مما يتماشى تماما مع عمق السائد في ثقافتنا الشعبية عن "من هو الشافي" في  
نهاية النهاية.

### وهكذا نرجع إلى دور امتداد دوائر الوعي

إن امتداد دوائر الوعي في واقع خبرتي إلى مداها وما بعد مداها (الغيب) جعلني أفهم ليس فقط  
علاقة ذلك بحضور الله سبحانه في "هنا والآن" وكل مكان وكل آن، ولكن جعلني أدرك دور دوائر  
الوعي الممتد في الشفاء بما يتلصق مع ثقافتنا الشعبية بالذات بأن "الله هو الشافي"، بل إنني حين  
غامرت وصدقت "نظرية الاستعادة" ثم مددتها قياساً إلى كل نبضة وعي (وأنا لا أكاد أصدق) فتحت  
أبواب تقاؤل وأعتقد أنها أوسع بكثير مما أشار إليه ستيفن.

ذكرت في إحدى النشرات السابقة تطبيقاً لهذا الفرض أنه إذا كان العطار "لا يصلح ما أفسد الدهر"،  
"فإن الدهر هو القادر على أن يصلح ما أفسد الدهر". وقد زاد تقاؤلي بعد أن أيقنت أن الدهر الذي يفسد  
حسب الوهم الشائع، هو غير الدهر الذي يصلح ما فسد وهو ما ينعم الله به على عباده من آليات  
ومسالك تفاعل "معا إليه"، ما دامت دورات الحياة، تستعاد بكل هذا التواتر فمن المنتظر ونحن نواكبها  
بدوائر وعينا المسؤولة المدعمة بكل ما نعرف من علم مناسب، وما نبدع من حضور مشترك، من  
المنتظر أن يزيد أملنا باستمرار في أن يصلح الدهر ما جرى فهو الذي له فضل تخليق برامج نوابية  
الحركة وكيف أن المخ يعيد بناء نفسه، ونحن معه بنفس الحركة المسؤولة المتحدية، وهكذا يمكن أن  
ينصلح ما أفسده الدهر الآخر الزائف الناشز العشوائي.

كما أنني تذكرت حديثاً قديماً لست متأكداً منه يقول: لا تسبوا الدهر فأنا الدهر" فطمأنت إلى هذه  
الفروض الداعمة لحركية ما أعيشه مع كل حذري من استخفاف المؤسسة العلمية السلطوية بما أقول،  
واستهانة وسوء تأويل المؤسسة الدينية الرسمية لما يصلني من واقع الوعي ودوائره، وكما ذكرت  
فالدهر في أول الجملة غير الدهر في آخرها.

عُثرت على نص آخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسبّ الدهر وأنا الدهر ألقب الليل والنهار"، (أخرجه البخاري ومسلم) فكان أقرب إلى من منطلق الإيقاع الحيوي وكيف أن دورات الليل والنهار يمكن أن نشفى من خلالها ، وكيف نولد كل ليلة من جديد كما ذكرت في نشرة (أسس) [نشرة 4-3-2017] (دون أي زعم بمحاولة نهج التفسير العلمي للنصوص الدينية، لو سمحتم)

كل هذا افتقده في معظم ما قرأت في الطب النفسي التطوري واعتبرته ما يميز الطب النفسي الإيقاعي التطوري.

### عودة إلى التفاؤل العلاجي

فما دام الدهر الجامع المانع يمكن أن يصلح ما أفسد الدهر العبيث النشاز، ومادام الكيان البشري (والحيوي) يواصل "دورات الاستعادة" طول الوقت وما دامت دورات الاستعادة جاهزة للتنشيط الموضوعي مع دورات المريض ودورات الحياة، فإن تناول هذه المنطقة بهذا الوعي يضيف حتماً إلى حقيقة ما يجري ويحبذ التفاؤل ويدعمه ويؤكدده، فيزيد.

[1] " Anthony Stevens and John Price "Evolutionary Psychiatry, A New Beginning second edition". Copyrighted: Routledge Taylor & Francis Group. London and Philadelphia. 2000.

- [2] ظهر هذا المقتطف أيضاً في نشرة 8-2-2016 "الطب النفسي الطوبائي" الطب النفسي التطوري (ستيفن ويريس) (ب)

- [3] أنا أعامل الجسد باعتباره وعياً متعياً Concretise Consciousness

- [4] المشاركة أحدى أساسيات علاج "المواجهة - المواجهة - المسؤولية" م.م.م-2-24 (2008، 25-2-2008، 26-2-2008)

- [5] وقد أشرت إلى ذلك مرارا في نشرات سابقة عن المنهج (نشرة: 25-4-2016) ونشرة 23-10-2016 (و) (نشرة 24/10/2016) (و) (نشرة 5-11-2016) (و) (نشرة 28-11-2016)؛ ثم وصلني مؤخراً كتاب " Foundations of Futures Studies الدراسات المستقبلية وفلسفة العلم الحديث/ تأليف ويندل بل-، وهو من منشورات مكتبة الإسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، 2016 ترجمة أمينة الجميل ومحمد العربي، وسوف أعود إليه غالباً في نشرات لاحقة، لأن به أسس هامة تدعم منهجنا بشكل مباشر، وترتبط بين منهج الفن ومنهج العلم بشكل جديد جداً.

\*\*\* \*\*

شبكة العلوم النفسية العربية... نحو تعاون عربي رقياً بعلم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

اشترائنا خدمات الد...م في إصدارات الشبكة

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=36&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3)

خدمات الاعلان بالمتجر الإلكتروني

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=39&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=39&controller=category&id_lang=3)

أن الدهر الذي يفسد حسبه الوهم الشائع، هو خير الدهر الذي يصلح ما فسد وهو ما ينعم الله به على عباده من آليات ومسالك تفاعل "معا إليه"،

من المنتظر أن يزيد أملنا باستمرار في أن يصلح الدهر ما جرى فهو الذي له فضل تخليق برامج نوامية الحركة وكيفية أن المصع يعيد بناء نفسه، ونحن معه بنفس الحركة المسنولة المتعدية،

ما دام الدهر الجامع المانع يمكن أن يصلح ما أفسد الدهر العبيث النشاز، ومادام الكيان البشري (والحيوي) يواصل "دورات الاستعادة" طول الوقت وما دامت دورات الاستعادة جاهزة للتنشيط الموضوعي مع دورات المريض ودورات الحياة، فإن تناول هذه المنطقة بهذا الوعي يضيف حتماً إلى حقيقة ما يجري ويحبذ التفاؤل ويدعمه ويؤكدده، فيزيد